المعاني البلاغية للنداء في شعر أبي العتاهية

130–210هـ

د. ردينة القاسم*

(الإيداع: 28 آذار 2023، القبول: 8 آيار 2023)

الملخص

يسعى هذا البحث إلى دراسة أسلوب النداء في شعر أبي العتاهية دراسة بلاغية تطبيقية تفي بالغرض المقصود.

بدأ البحث بتعريف النداء لغةً واصطلاحاً، ثم ذكر المعاني البلاغية والمجازية التي خرج إليها النداء عند الشاعر، وذلك من خلال تحليل الشواهد الشعرية المناسبة مع توظيف أساليب النداء توظيفاً دلالياً عميقاً مُعبّراً عن كوامن الذات الإنسانية.

خُتِمَ البحث بنتائج علمية دقيقة توصلت إليها الدراسة.

الكلمات المفتاحية: أبو العتاهية– بلاغة– شعر– معاني– النداء.

---

* دكتوراه في اللغة العربية النقد والبلاغة

The rhetorical meaning of the style of calling in the poetry of abi al-atahiya 210-130h

Dr. Rudaina Al Qassim*

(Received: 28 March 2023, Accepted: 8 May 2023)

Abstract:

This research seeks to study the style of calling in the poetry of abi al-atahiya, an applied rhetorical study that fulfills the intended purpose.

The research began with defining the appeal linguistically and idiomatically, then mentioning the rhetorical and metaphorical meanings that the appeal came to in the poet, through analyzing the appropriate poetic evidence with the use of the methods of the appeal inadeep semantic manner expressing the latents of the human self.

The research was concluded with accurate scientific results reached by the study.

Keywords; abo al-atahiya, eloquence, poetry, meanings, appeal.

PhD in Arabic Language Criticism and Rhet

المقدمة:

يُعدّ النداء أحد الأساليب التعبيرية التي تُوقظ النفس وتُثير الذهن وتنبّهه؛ لأنّه يُترجم الأبعاد النفسية للمُنادِي، فيُعبّر عمّا يجول في خاطره؛ ليشعِر المُنادَى بالتواصل والتعايش مع المُنادِي.

ولمّا كان التنبيه يحتلّ مكانة مرموقة في مقدمة المعاني البلاغية للنداء؛ فقد وقع الاختيار على شعر أبي العتاهية[1] الذي غلب عليه تنبيه المُخاطب إلى التفكير بزوال الحياة مُتّخذاً أسلوب الحكمة والمواعظ في نظرته إلى الحياة الدنيا، والتأمل بمجرياتها، من خلال مناداة فطرية عميقة تُصوِّر ذاته ومجتمعه.

مشكلة البحث:

تكمن صعوبة البحث من اتساع موضوع الدراسة، وتشابك المعاني المجازية لأساليب النداء فيما بينها، فضلاً عن عدم إعطاء أساليب النداء في شعر أبي العتاهية حقّها من الدراسة الوافية التي تستحقها.

أهمية البحث:

تأتي أهمية البحث في معرفة الدلالات المجازية والجمالية لأساليب النداء في شعر أبي العتاهية ضمن جمالية منسقة تُساعد في الولوج إلى العالم الداخلي للشاعر، وذلك بالوقوف على الجوانب البلاغية والمعاني المجازية لأغراض النداء الموجودة لدى الشاعر.

أهداف البحث وأسئلته:

يهدف البحث إلى:

–إضاءة هذا الجانب؛ لأنّ للنداء حضوراً قويّاً في شعر أبي العتاهية، وقد تكرّر وروده كثيراً، ولم تسبق دراسته دراسة بلاغية وافية، فكان هدف البحث إغناء الدراسات البلاغية، ورصد المكتبة العربية بما هو جديد.

–بيان جماليات النداء بأساليبه المختلفة في شعر أبي العتاهية، والكشف عن السمات النفسية والفكرية والاجتماعية التي يتصف بها الشاعر.

–إظهار وظائف النداء من خلال دراسة الجانب التطبيقي، ومعالجة الدلالات الفكرية والجمالية للنداء بأساليبه المُختلفة.

–وللإجابة عن مجموعة من الأسئلة تتبادر إلى الأذهان، نذكر منها:

1–ما الدور الفاعل لأساليب النداء في شعر أبي العتاهية؟ وما المؤثرات الجمالية له؟

2–ما مدى أهمية تطبيق أساليب النداء في إغناء الرصيد البلاغي للغة العربية؟ وما أثر توظيف هذه الأساليب من النواحي النفسية والاجتماعية والبلاغية في شعره؟

فرضيات البحث وحدوده:

يدرس هذا البحث المعاني المجازية للنداء ضمن دائرة علم المعاني، ولم يتعرّض للألوان البلاغية الأخرى كالتشبيه والاستعارة؛ لأنها تحتاج إلى دراسات مستقلة بذاتها.

منهج البحث:

[1] أبو العتاهية: "هو إسماعيل بن القاسم، مولى لعنَزَة ويكنى أبا إسحق، وأبو العتاهية لقب، وكان جرّاراً، ويُرمى بالزندقة...، وكان أحد المطبوعين، وممن يكاد يكون كلامه كلّه شعراً"، الشعر والشعراء، أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (276هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، 791/2.

اقتضت طبيعة البحث الاعتماد على المنهج التحليلي الوصفي بوصفه المنهج الأقرب لتحقيق أهداف الدراسة، فضلاً عن دراسة علمية إحصائية تتضمن رؤية تكاملية نوظفها لخدمة البحث.

الدراسات السابقة:

–الأنماط التركيبية لجملة النداء في شعر قيس بن ذريح، نبراس حميد إبراهيم، جامعة ابن سينا للعلوم الطبية والصيدلانية، مجلة الجامعة العراقية، العدد (51).

–الاستعارة في شعر أبي العتاهية (دراسة بلاغية)، رسالة قدمتها: ولّى زينتي، إشراف عزمان إسماعيل، جامعة الرانيري، دار السلام– نبدا أتشيه، إندونيسيا، 2019م.

–النداء في ديوان أبي الطيب المتنبي دراسة نحوية دلالية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، إعداد سمية رحابي، إشراف: طبنى صفية، جامعة محمد خيضر– بسكرى، الجزائر، 2015م.

–التناص الديني عند أبي العتاهية، إعداد: حسن علي بشير بهار، إشراف: محمد مصطفى كلاب، قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الجامعة الإسلامية بغزة، 2014م.

–النداء في ديوان أوراق الزيتون لدرويش، راشد علي عيسى، جامعة البلقاء التطبيقية، عمان– الأردن.

–نموذج للزهد من شعر أبي العتاهية، علي اللافي جولق– كلية التربية المجيلات، جامعة الزاوية، ليبيا، مجلة كلية التربية، العدد السابع، 2017م.

–المحسنات اللفظية في لاميات أبي العتاهية (دراسة بلاغية)، رسالة قدمتها سري جوت أفريدا، فهمي سفيان، جامعة الرانيري الإسلامية، دار السلام– نبدا أتشيه، إندونيسيا، 2018م.

مُصطلحات البحث وتعريفاته الإجرائية:

النداء لغةً: النداء "الصوت، وقد ناداه مُناداة ونداء أي صاح به، وأندى الرجل إذا حسن صوته، والندى: بعد الصوت. والنداء ممدود: الدعاء بأرفع الصوت"[1].

النداء اصطلاحا هو: "علامة من علامات الاتصال بين الناس، وهو دليل قوي على اجتماعية اللغة، ومن ثم فهو كثير الاستعمال، ولا يكاد يخلو كلام إنسان كل يوم من النداء"[2]؛ فهو أداة تواصل بين المُخاطِب والمُخاطَب؛ بوصفه "التصويتُ بالمُنادَى لإقباله عليكَ، هذا هو الأصل في النداء، وقد تخرج صيغة النداء إلى أن يكون المُراد فيها غير الإقبالِ، بل يُراد منها التخصيص"[3]؛ فهو استدعاء وتنبيه وطلب إقبال المُخاطب، ويُعدُّ النداء من أساليب الإنشاء الطلبي؛ لأنّه "طلب الإقبال بحرف نائب مناب (أدعو) لفظاً أو تقديراً"[4].

وأدوات النداء ثمان "(أَ– أَيْ– يا– آ– آي– أيا– هيا– وا):

أمّا (أ– أي) فلنداء القريب.

وأمّا (أيا– هيا– آ) فلنداء البعيد.

---

[1] لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (711ه)، دار صادر- بيروت، مادة (ندي).

[2] التطبيق النحوي، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، الطبعة الثانية، 1998م، ص275.

[3] الطراز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، 2002م، 164/3.

[44] تهذيب السعد ترتيب لكتاب (مختصر المعاني) لسعد التفتازاني، محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، مصر، الطبعة الثالثة، 1950م، 44/3.

وأمّا (يا) فالراجح أنّها موضوعة لنداء البعيد حقيقةً أو حكماً، وقيل مُشتركة"[1]، ولهذه الأدوات استخدامات كثيرة : "فأمّا الهمزةُ منها فللقريب خاصة، وسائرها للبعيد مسافة وحكماً، والاسم المنادى غير المندوب، والمُستغاث به، والمتعجب منه: إمّا أن يكون مفرداً، أو مضافاً، ويجوز حذف حرف النداء، وإبقاء المنادى"[2].

وقد يخرج النداء عن غرضه الحقيقي إلى معانٍ بلاغية كثيرة، وتظهر هذه الأغراض والمعاني عند امتداد صوت المُنادِي الذي يُترجم به فكره ومواقفه تجاه المُنادَى؛ لأنّ "النداء حالات، فقد يكون طلباً للمعونة، وقد يكون تعبيراً عن دهشة وتعجب، وقد يكون تفجُّعاً على مفقود، أو توجُّعاً من ألم، ولكلّ حالٍ من هذه الحالات، أسلوب من النداء يختلف عن الآخر"[3]؛ فمن خلال دراسة النداء في شعر أبي العتاهية دراسة علمية إحصائية تبيّن ورود النداء في شعره (463) مرة، وقد تنوعت الأغراض المجازية لهذه الأساليب الندائية واختلفت نسبة حضورها وفق الجدول الآتي:

الأغراض	عدد مرات ورودها	النسبة
التنبيه	156	%33.69
التذكر	97	%20.95
التحبب	39	%8.42
التحقير	32	%6.91
التعجب	29	%6.26
الاستغاثة	25	%5.39
الزجر	23	%4.96
التعظيم	22	%4.75
التحسر	15	%3.23
الإغراء	13	%2.80
الندبة	12	%2.59

التنبيه[4]:

[1] البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها، وصور من تطبيقاتها، بهيكل جديد من طريف وتليد، عبدالرحمن حسن حبنكه الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1996، 240/1.

[2] المقرب ومعه مثل المقرب، ابن عصفور الخضرمي الإشبيلي (669ه)، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود- علي محمد معوض، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م، ص244.

[3] الواضح في النحو، محمد خير الحلواني، دار المأمون للتراث، بيروت، الطبعة السادسة، 2000م، ص273.

[4] أساليب بلاغية الفصاحة- البلاغة- المعاني، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980م، الطبعة الأولى، ص130.

التنبيه هو: "إشعار رسمي يُنبَّه فيه الإنسان إلى ما عليه من دين أو التزام"[1]، وهو"المعنى الأساسي في النداء، ويمكن أن يكون محمولاً للدلالة على صلة المتكلم بالمنادى بعداً وقرباً؛ فيُجري المتكلم أدوات تفيد القريب لنداء البعيد دلالة على قربه منه، أو يُجري أدوات تُفيد البعد لنداء القريب دلالة على الاحترام والتعظيم أو الجفاء"[2]، وقد غلب التنبيه على شعر أبي العتاهية حتى وصل إلى (156) مرة، أي بنسبة (33.69%) متوجهاً إلى مُختلف المُخاطبين والمستمعين؛ فقد يمتزج تنبيهه بأغراض أخرى من النداء، ولكنها في النهاية ترجع إلى غرض واحد يطغى عليها وهو التنبيه؛ فقد يصل الشاعر إلى مرحلة ينبه فيها نفسه على ما يجب فعله:

فيا نفسُ خافي اللهَ، واجتهدي له، فقد فاتتِ الأيامُ، واقتربَ الوعدُ[3]

يُجرّد الشاعر من نفسه شخصاً آخر يخاطبه؛ فيُحادثها وكأنّها ماثلة أمامه، ويتخذ منها إنساناً يذكّره بتسارع الأيام، واقتراب يوم الحساب؛ فقد استخدم الشاعر أسلوب النداء لنفسه (فيا نفس) للتخفيف من الضغط النفسي بوساطة صوته الداخلي الذي استغاث به حين خاطب نفسه ناصحاً إياها عندما تصاعدت انفعالاته؛ فالنداء ساعده على إخراج المشاعر الكامنة في نفسه، والشاعر يعيش حالة تأنيب مستمر لنفسه عن طريق أفعال الأمر (خافي، اجتهدي)؛ لأنّ طبيعة تجربته في الوعظ والحكمة تقوم على الطلب؛ فالآمر يقوم بدور المنبّه أملاً أن يكون المأمور على درجة عالية من اليقظة والانتباه.

ثم يشخّص عينه؛ فيُعطيها خصائص الإنسان الذي ينام ويغفل عن الآخرة؛ فالعين هي التي تعود على صاحبها بالبلاء:

يا عينُ! قد نمتِ، فاستنبهي، ما اجتمعَ الخوفُ وطيبُ المنامْ[4]

يُنادي الشاعر عينه نداء الإنسان البعيد عنه؛ ليجمع بين شعوره المتوتر وبين تقصير عينه، واندماجها في ملذات الحياة الدنيا ومغرياتها، وهذا يُعمّق إحساسنا؛ فيجعلنا نتأمل العين التي يُخاطبها الشاعر، ويُحمّلها مسؤولية التقاعس والإهمال، ثم يُسرع بالتنبيه عن طريق فعل الأمر (فاستنبهي) أملاً في أن يُجاب طلبه؛ فيُحذّر عينه من الوقوع في الخطأ حين يُطاب لها النوم وتغفل عن عواقبه ؛ لأنّ النوم لا يجتمع مع العمل للآخرة.

نلحظ براعة الشاعر في استخدام هذه الأساليب الجمالية بمشاركة العين حديثه لحظة انفعاله الشعري الناتجة عن الرغبة الحقيقية للشاعر في التماس نصائحه؛ فيُحاكيها محاكاة إنسانية؛ ليعمق إحساسنا وانفعالنا عند محادثته عينه؛ فاستخدم الأنسنة للتعبير عما يجول في نفسه وخاطره من فكر عند إضفاء الصفات الإنسانية على عينه، وقد أحسن الشاعر اختيار العين التي جرّد منها شخصاً آخر؛ فأشعرنا بوجود أشخاص يعيشون داخل الشاعر من خلال وصفها بسمات العاقل وإكسابها صفات إنسانية.

ثم ينبّه الشاعر نفسه مؤنباً إياها، طالباً منها ألا تنخدع بمظاهر الحياة الدنيا:

---

[1] لسان العرب، ابن منظور، مادة (نَبَهَ).
[2] دروس البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، الأزهر الزنّاد، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، 1992م، ص135.
[33] ديوان أبي العتاهية، إسماعيل بن القاسم بن السويد بن كيسان، كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، 1986م، ص129.
[4] المصدر نفسه، ص389.

حتى متى، يا نفسُ، تغتـ ـرين بالأمل الكذوبِ

يا نفسُ توبي قبل أنْ لا تستطيعي أنْ تتوبي[1]

يبدأ الشاعر أبياته بأسلوب استفهام (حتى متى)، هذا الأسلوب الذي يحمل معنى الاستبطاء، ثم تلاه بأسلوب نداء (يا نفس)وتبعها بالفعل المضارع (تغترين)دلالة على استمرارية الانخداع بآمال الدنيا؛ فالشاعر يستبطئ استمرار انغماس الناس في الحياة ووقوعهم فريسة أعمالهم وإهمالهم اليوم الآخِر، ثم يطلب منها أن تتوب عن طريق فعل الأمر (توبي)؛ ليهديها إلى التوبة عمّا مضى، وعمل الخير وادخاره إلى يوم الحساب الأكبر، حيث تتحطم القيود المادية والآمال الكاذبة، والسعي وراء سراب خادع في الدنيا؛ فيطلب من النفس وربما قصد بها النفس الإنسانية عامة، ويدعوها إلى طاعة الله وتقواه بهدف حصولها على خير الجزاء يوم القيامة.

التذكر[2]:

هو: "تذكُّر ما أُنسيت"[3]، وقد ورد التذكر (97) مرة، أي بنسبة (20.95%) وذلك بهدف تذكير الغافل والساهي بما نسيه نتيجة انشغاله بملذات الحياة الدنيا، وظاهرها، ومن معاني النداء التذكر؛ فقد يكون القصد من المناداة تذكير المُنادَى بأمر منسيّ يجب عليه الالتزام به:

يا ناسيَ الموتِ، ولم ينسَه، لم ينسَكَ الموتُ، وما تذكُرُه[4]

يتوجه الشاعر بخطابه إلى عامة الناس، ويُذكّرهم بالموت الذي تناسوه، ولكنّ الموت سيأتيهم في الوقت المحدد عند اقتراب الأجل والقدر المحتوم، نُلاحظ العبرة والموعظة في كلامه؛ فهو يقوم بتذكير السامع بمصيره الذي ينتظره ولا يستطيع الفرار أو التخلص منه.

كما يُذكِّر الشاعر نفسه التي انشغلت بمغريات الدنيا، ونسيت موعد الحساب، فيقول:

أيا نفسُ! إنْ لم أبكِ مما أخافُهُ عليكِ غداً عند الحسابِ فمن يبكي[5]

يستخدم أبو العتاهية أداة النداء (أيا) مُخاطباً نفسه الغافلة، وكأنّها جزء مفصول عنه؛ فيؤنبها ويلومها مُذكِّراً إياها بما ستلقاه يوم الحساب، ويذكّرها أنّه سيبكى على ما اقترفته من آثام يوم لا ينفع الندم، مُؤملاً ترك طريق الضلال، والقيام بالأعمال الحسنة، تهيئة ليوم القيامة.

-التحبب[6]:

ويظهر التحبب "إذا كان المُنادى مُرخّماً أو جارياً على صيغة التصغير، ويتضمن هذا المعنى عدداً من المواقف المُتضاربة كالعطف والشفقة"[7]، استخدم الشاعر التحبب (39) مرة، أي بنسبة (8.42%) من أساليب النداء؛ بهدف التقرب من المخاطب

---

[1] ديوان أبي العتاهية، ص56.
[2] البلاغة العربية، أسسها، وعلومها، وفنونها، وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني،241/1.
[3] لسان العرب، ابن منظور، مادة (ذَكَرَ).
[4] ديوان أبي العتاهية، ص203.
[5] المصدر نفسه، ص300.
[6] البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني، بكري شيخ أمين، توزيع دار العلم للملايين، بيروت، 1979م، 116/1.
[7] دروس البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، الأزهر الزنّاد، ص136.

وإقناعه عن طريق الترغيب، مُستخدماً أسلوب الرفق واللين معه، وذلك لقرب المخاطب من قلبه وخوفه عليه باستخدام أسلوب اللطف عند إسداء النصيحة حرصاً عليه:

أأخيَّ! كلٌّ لا محالةَ زائلٌ، فلِمَنْ نراكَ تشمّرُ الأموالا

أأخيَّ! شأنك بالكفافِ وخلّ من أثرى، ونافس في الحُطامِ، وغالى[1]

استخدم الأداة (أ) لقرب المُنادى من نفسه، مُنادياً (أخيَّ) تحبباً به، مُحاولاً بثّ السكينة والطمأنينة في نفسه، مؤكداً له مدى أهميته ومكانته لديه؛ فكان ذكر (أأخيَّ) في بداية السياق موفقاً، وجاء بجملة خبرية من الضرب الابتدائي خالية من التوكيد؛ لأنّ المُخاطَب لا يستطيع نكران الحقيقة التي يبثّها الشاعر أمام الجميع، وتكمن جمالية النداء أنّه يوحي بقرب المُخاطب من روحه؛ فيُناديه متوجعاً أملاً في الحصول على استعطافه، فيجعله يتقبّل نصائحه ويستنهضه لتلبية النداء، ثم يذكره بفناء الدنيا مُستغرباً من جمعه الأموال في هذه الحياة الفانية، ويطلب منه العمل من أجل الآخرة يوم لا ينفع فيه مال ولا جاه.

ويقول مخاطباً صاحبيه المقرَّبين إليه، فيذكّرهما أنّ الحق واضح مهما حدث:

خليليَّ! إنّ الهمَّ قد يتفرّجُ، ومن كان يبغي الحقَّ، فالحقُّ أبلجُ[2]

حذف حرف النداء (يا) قبل المنادى المضاف، وجاء بالمنادى (خليليَّ) مباشرة؛ وهذا ما يُشير إلى عظم محبته لهما في قلبه، وإظهار مكانتهما لديه؛ فحذف حرف النداء؛ لأنّ الكلمات لا تسعفه حتى يتم النداء؛ فطوى هذا الحرف؛ فكان المقام مقام وعظ، يقتضي الإيجاز؛ فحذف (يا) في محاولة منه للتنبيه، أو المخاطبة الموجهة من الشاعر إلى صاحبيه المُفضّلين لديه.

-التحقير:

وذلك عندما "ينزل القريب منزلة البعيد للإشعار بأنّ المُنادى وضيع المنزلة مُنحطّ المكانة، وكأنّه بعيد عن القلب؛ فينزل هذا البعد النفسي منزلة البعد المكاني"[3]، وقد ورد التحقير (32) مرة، أي بنسبة (6.91%) من نداءات الشاعر، ولا سيما عندما يتوجه بخطابه إلى إنسان وضيع الشأن منحطّ القدر، فيقول:

يا من يعيبُ، وعيبُه متشعبٌ، كم فيكَ من عيبٍ وأنتَ تعيبُ[4]

يتوجه الشاعر بخطابه إلى كل إنسان ينظر إلى عيوب الناس؛ فينتقدهم من دون النظر إلى عيوبه التي تُسيطر عليه؛ فيذكره بعيوبه ويحط من قدره؛ فيذمه ويحتقره بسبب صفاته السيئة التي يتسم بها، فجاء بالفعل المضارع (يعيب، تعيب) للدلالة على استمراريته في انتقاد الناس والإساءة إليهم بأخلاقه الذميمة التي تجعل الناس يكرهونه.

ثم ينتقل إلى تحقير دنياه التي ينخدع بها الناس، ويتمتعون بأجوائها، ثم ينصدمون بتقلب أحوالها، وهذا ما يجعل الدنيا تصغر في عينيه؛ فيُخاطبها قائلاً:

ألم نرَ، يا دنيا، تصرُّفَ حالِكِ، وغدركِ، يا دنيا، بنا وانتقالكِ

حرامُك، يا دنيا، يعود إلى الضنّى، وذو اللّب فينا مُشفقٌ من حلالكِ

---

[1] ديوان أبي العتاهية، ص347.
[2] المصدر نفسه، ص116.
[3] علم المعاني، دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الرابعة، ص413.
[4] ديوان أبي العتاهية، 42

أليفكِ، يا دنيا، كثيرٌ غمومه، فليس نجاةٌ منكِ غيرَ اعتزالكِ[1]

يبدأ الشاعر أبياته بأداة استفهام (الهمزة)، وهو استفهام إنكاري تقريري، وكأنّه أراد القول (لقد رأينا)، وهو استفهام لا يحتاج إلى جواب، ثم يتوجع الشاعر بخطابه إلى الدنيا عن طريق الأنسنة؛ فيُضفي عليها السمات الإنسانية، ويُقلل من شأنها، ويُذكّرها بتقلبها من حال إلى أخرى، ويتهمها بالغدر؛ فالناس ينخدعون بها، ويتبعون الحرام، أما الإنسان العاقل فيبتعد عن هذه الأمور، ولكنّ الذي يتبع هوى الدنيا تكثُر أحزانه وهمومه، ولا سبيل للنجاة سوى اعتزالها عنها، وعدم الانغماس فيها.

لقد كرّر الشاعر المُنادى (يا دنيا) بهدف تأكيد عتابه للدنيا ولومه لها، والتركيز على تحوّل عواطفنا عن الانصراف والانشغال بالدنيا ومظاهرها المزيفة، فقام بتشخيصها وعتابها مكرّراً مناداته للدنيا تأكيداً على معاناته، ذلك العتاب النابع عن نفس متألِّمة ومعاناة صادقة.

-التعجب:

التعجب هو "استعظام أمر ظاهر المزية في السبب"[2]؛ لأنّه "يدلّ على تعجب من شيء ما"[3]، فيُوحي بالاندهاش والانبهار، وقد ورد التعجب في شعر أبي العتاهية (29) مرة، أي بنسبة (6.26%) من نداءاته، وذلك حين يتعجب من الانغماس والغوص في الملذات، وترك العمل من أجل الآخرة، ولكنّ تعجّبه يدور حول موضوع واحد، وهو تعجبه من محبي الدنيا وإقبالهم عليها:

يا حالبَ الدهرَ درَّ أشطُرِهِ! هل لكَ فيما حلبتَ منتفعُ؟

يا عجباً لامرئٍ تخادعُهُ الـ ـسّاعات عن نفسِهِ، فينخدعُ

يا عجباً للزمانِ، يأمنُهُ من قد برى الصخرَ عنه ينصدعُ[4]

يتوجه الشاعر بندائه إلى كل إنسان نسي الموت وانخدع بمظاهر الدنيا وبهرجها وحالها، ثم يستغرب ممن يلهو ويلعب بمغريات الحياة مع علمه أنّها زائلة لا محالة؛ فالدنيا دار شقاء وبلاء، والمغرور يظنّ أنّ المال دائم؛ فيستمتع مُتلذِّذاً بحياته، ثم يكرّر الشاعر تعجبه رغبةً منه بجذب السامع وإثارة انتباهه إلى ما يقوله، فضلاً عن إصراره الشديد وإرغام السامع على الإنصات إلى النصائح والمواعظ التي يريد إيصالها إليه؛ فالمال والجاه لا ينفعان الإنسان، وكذلك الزمان ليس له أمان؛ لأنّ الشاعر يتحدث عن حياة حقيقية يعيشها جميع الناس، وهو يحذرهم من الطمع والغرق في الضلال سعياً وراء ملذات الحياة، والانغماس فيها.

وينبه الشاعر نفسه متعجباً من انصرافها إلى الحياة، ونسيانها القدر المحتوم؛ فيقول:

فيا عجباً من طُولِ سهوي وغفلتي وما هو آتٍ، لا محالةَ، آتِ[5]

---

[1] ديوان أبي العتاهية، ص313.
[2] معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه- كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، 1984م، ص111.
[3] الواضح في النحو، محمد خير الحلواني، ص275.
[4] ديوان أبي العتاهية، ص251.
[5] ديوان أبي العتاهية، ص86.

يُعاني الشاعر تجربة ذاتية واقعية ويحاول التخلص منها؛ فيتعجب من نفسه الساهية الغافلة النائحة الناسية الموت، وهو المصير المحتوم؛ فالموت آتٍ لا محالة، وهنا تتجسد في شعره روح الوعظ والتذكر بما ينتظره؛ فيلجأ إلى محاسبة نفسه عمّا اقترفته من آثام، وتقريعها وتذكيرها بالموت.

الاستغاثة:

"فالاستغاثة يُقصد بها طلب الغَوْث، وله أداة واحدة وهي (يا)"[1]، وقد وردت الاستغاثة (25) مرة، أي بنسبة (5.39%) من أساليب النداء؛ فهو يُكثر من مناجاة ربه، مُتضرّعاً له، متوسّلاً إليه، مُستغيثاً به في كلّ وقت؛ فيقول أبو العتاهية:

أيا ربُّ يا ذا العرشِ، أنتَ حكيمُ! وأنتَ، بما تخفي الصدورُ، عليمُ

فيا ربُّ! هبْ لي منك حِلماً، فإنني أرى الحلمَ لم يندمْ عليهِ حليمُ

فيا ربُّ هبْ لي منك عزماً على التّقى أُقيمُ به، ما عشتُ، حيثُ أقيمُ[2]

يبدأ الشاعر أبياته مُتضرِّعاً إلى ربّه مُستخدماً أداة النداء (أيا) تعظيماً لربّ العباد؛ فيبثّه شكواه بإحساس مرهف؛ فيطلق الشاعر صرخته بحرقة كاوية مليئة بالجيشان والانفعال؛ فيكشف في هذه الاستغاثة عن قلب مكروب أثقلته الهموم والمصائب، ولم يجد له ملجأ غير الله سبحانه وتعالى؛ فهو خير معين على هذه الحياة، ثمّ يطلب من الله أن يهبه الصبر والقوة ليستطيع العيش في الدنيا حياة التقوى والرضا؛ فالله وحده عليم بمكمن وجع الشاعر، وما يعتري نفسه من حيرة وقلق إزاء الوجود؛ فلجأ إلى أسلوب التضرع مُعبّراً عن شدة انفعاله ضمن بوح وجداني شجيّ يفيض حزناً وألماً؛ فتتبع ألفاظه من أعماق قلبه حتى بلغت مبلغاً عظيماً وصل إلى حدّ المناجاة الحقيقية.

كما يتضرع الشاعر إلى ربّه، ويستغيث به متوسلاً إليه، طالباً منه إعانته على هذه الحياة:

يا ربّ! أنت خلقتني، وخلقتَ لي، وخلقتَ مني

مالي بشكرِكَ طاقةٌ، يا سيدي، إن لم تُعنّي[3]

يبدأ أبو العتاهية كلامه بالدعاء إلى رب العباد (يا ربّ) مُستخدماً الأداة (يا)؛ فالله سبحانه وتعالى خلق العباد والكون بكل ما فيه، وهو القادر على كل شيء؛ فالشاعر عاجز عن الشكر لخالق السموات والأرض، ولم يكن بوسعه إلا طلب الإعانة من الله، فهو خير معين.

إنّ الشاعر في حالة تضرُّع وخضوع واستعطاف؛ فيُناجي ربّه ويطلب منه حاجته عندما تضيق به الدنيا؛ لأنّ ملجأه الوحيد هو الله جلّ جلاله؛ فيدعوه دعاءً صادقاً نابعاً من قلبه، راجياً من الله إجابة الدعاء المصبوغ بالحرقة والألم، وقد ينزل القريب منزلة البعيد؛ لأنّ "المنادى رفيع القدر عظيم الشأن؛ فيجعل بُعد المنزلة كأنّه بُعد في المكان"[4]، ويتضرّع إلى الله (يا ربّ) في

---

[1] الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الخامسة، 2001م، ص144.

[2] ديوان أبي العتاهية، ص392.

[3] ديوان أبي العتاهية، ص434.

[4] علم المعاني، درويش الجندي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ص59.

أجمل صورة لترجمة مواجعه من الصدق العاطفي والحرارة الموحية بالإيمان والتقوى؛ فهو يطلب من الله أن يمنحه المساعدة والإعانة بكل أنواعها.

الزجر[1]:

"الزجر: المنع والنهي والانتهار"[2]، وقد ظهر الزجر (23) مرة، أي بنسبة (4.96%) من نداءاته، بهدف إسداء نصيحة الإقلاع عن ارتكاب المحرمات، والردع عن فعل ذلك؛ فهذا أبو العتاهية يزجر الناس عن الانغماس بخداع الحياة الدنيا؛ فينهاهم عن ذلك بقوله:

فلا تعشقِ الدنيا، أخيَّ، فإنّما يُرى عاشقُ الدنيا بجُهدِ بلاءِ[3]

حذف أبو العتاهية حرف النداء (يا)، وأتى بالمنادى (أخيَّ) مباشرةً؛ لشعوره أنّ المُنادَى قريب من نفسه، محبّب إلى قلبه، وكأنّنا نسمع صوته المذبوح المملوء بالخوف والقلق، فيكشف عن روح موجوعة تثقلها الهموم، ويُطلِق صرخته بحرقة كاوية، وهي صرخة تنبيهيّة عفويّة موجّهة إلى المُنادَى بأسلوب عفوي مقنع، لقد طوى هذا الحرف؛ لأنّه حريص على المُنادَى، وذلك عندما ينصحه، راغباً في إهدائه إلى الصواب، مُضيفاً ياء المتكلم إلى المُنادى (أخيّ) بما تحمله هذه الإضافة من أحزان وآلام؛ لأنّه أخوه المفضّل الذي يخصّه ويخاف عليه.

استخدم الشاعر أسلوب النهي مُترافقاً مع النداء؛ لأنّه يحمل في ثناياه معاني النصح والإرشاد طالباً من أخيه الإعراض عن ملذات الدنيا التي تودي بالناس إلى الهلاك، فينهاه عن الغوص في الأخطاء، مصوراً قلقه عليه، داعياً إياه إلى التبصّر وإدراك حقائق الأمور، مذكراً إياه بسوء العاقبة، ونهاية مصيره المحتوم.

ويُخاطب الشاعر النفس الإنسانية؛ فيزجرها عن الانخداع بمظاهر الحياة الدنيا وبهرجها، وذلك في قوله:

أيا نفسُ! لا تستوطني دارَ قُلعةٍ، ولكنْ خذي بالزاد قبل ارتحالكِ

أيا نفسُ لا تنسيْ كتابَكِ واذكري؛ لكِ الويلُ إن أعطيتِهِ بشمالكِ[4]

يردع الشاعر النفس البشرية وينهيها عن الانخداع بالدنيا؛ لأنّها دار فناء؛ فيدعوها إلى الجدّ والتفكير بالموت وعاقبة المصير مُستخدِماً أسلوب إنسان زاهد يغمره التشاؤم والقنوط والشك والخوف؛ فيُحذّرها من ارتكاب المعاصي، ناهياً إياها عن الاغترار بالدنيا، مُكثِراً من الوعظ والتزهيد بها؛ فيُذكّرها بيوم الحساب (لا تنسي)؛ لأنّ الحياة إلى زوال، مُعتمِداً في كلامه على حقائق ثابتة من طبائع الناس التي تستدعي النظر إلى بواطن الأمور والتأمل فيها.

التفجُّع[5]:

"التفجُّع: التوجُّع والتضوُّر للرزيّة""[6]، وقد تكرّر التفجُّع (22) مرة، أي بنسبة (4.75%) من نداءاته، ولا سيّما عندما يُخاطب الموت خائفاً من رهبة حدوثه، مُصوِّراً الهلع والرعب الذي يحدِثه في النفوس، إذ يتوجه الشاعر بخطابه إلى سكرة الموت معبّراً عن هول الحدث الذي ألمّ به؛ فيقول:

---

[1] المصدر نفسه، ص60

[2] لسان العرب، ابن منظور، مادة (زَجَرَ).

[3] ديوان أبي العتاهية، ص12.

[4] ديوان أبي العتاهية، ص313-314.

[5] البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها، وصور من تطبيقاتها، عبدالرحمن الميداني، ص240/1.

[6] لسان العرب، ابن منظور، مادة (فَجَعَ).

يا سكرة الموت! أنتِ واقعةٌ للمرءِ في أيّ آفةٍ سلكا

يا سكرة الموتِ! قد نصبتِ لهذا الـ خلقِ، في كل مسلكٍ، شركا

أُخيَّ، إنّ الخطوبَ مُرصدةٌ بالموتِ، لا بُدّ منه لي ولَكَا[1]

كرّر الشاعر مُناداة الموت (يا سكرة الموت) بأسلوب مُخيف ومُرعِب، فجاء التكرار للتأكيد على بثّ الرهبة في النفوس ضمن صورة شديدة الرعب، تُثير الهلع وهيجان الأحاسيس، ثمّ يتبعها بجمل خبرية (أنت واقعة) من الضرب الابتدائي لا يحتاج إلى توكيد، فلا أحد يستطيع إنكار وقوع قضاء الله وقدره، أمّا عبارة (قد نصبت) فأتى بها بأداة التوكيد (قد) ردّاً على من يُشكك بذلك، وتتوالى الجمل الخبرية (إنّ الخطوب مرصدة)؛ ليُعبّر عن تجربة واقعية تُمثّل غصة في نفسه، ثمّ ينتقل إلى مخاطبة أخاه حاذفاً حرف النداء، وجاء بالمنادى (أخيَّ) مباشرة، للتركيز على أهميته بالنسبة إليه، فلا تسعفه الكلمات حتى يتمّ النداء، فأصبح مقامه مقام ضيق وحزن، فحذف هذا الحرف للتنبيه؛ لأنّ حذفه يُوحي بتراكمية حفّزت الشاعر إلى إلغاء الحواجز التي تعدّ تعطيلاً للشحنة الانفعالية، حتى لا يكون ذلك الحرف عازلاً بينه وبين أخيه، فالغرض البلاغي لحذف هذا الحرف هو جعل المُنادى قريباً من نفسه، ماثلاً أمامه لا يُفارق خياله.

يعيش الشاعر حالة صراع داخلي؛ فيُخاطب مرحلة ما بعد الموت وسكرات الموت على القبر، فنلمح في شعره نبرة الحزن والشعور بالضعف أمام الموت مؤكّداً على عظمته؛ فيُحدث رهبة في نفوسنا؛ لأنّ سكرة الموت واقعة لا محالة؛ فالشاعر يخاف مما سيواجهه بعد الموت؛ فتختنق روحه وتضيق عليه دنياه، ثم يتوجه بندائه إلى الإنسان عامة بقوله: (أخيّ) لاجئاً إلى ثنائية الأنا والآخر نتيجة تمزق داخلي يجعله يفقد السيطرة على نفسه إثر حقيقة واقعة؛ فجاء بجملة خبرية من الضرب الابتدائي الخالي من المؤكدات؛ لأنّه لا أحد يستطيع إنكار إقرار الشاعر واعترافه بوقوع الموت، وما يحدثه في النفوس من هلع تقشعرّ له الأبدان؛ فيُكرّر مناداته بروح موجوعة تُعبّر عن ثقل الحدث الذي لا مفرّ منه؛ فيجعلنا نشاركه أحزانه وقلقه وتوتره؛ فنسمع أقدس عواطفه وأنبل اختلاجاته عندما يُخاطب أخاه الإنسان، وينصرف إلى مشاركته حواره عن طريق توجيه الخطاب إليه، وفي ذلك إفراغ ما في نفس الشاعر من خوف وتعظيم لمجيء الموت؛ ليجعل المخاطَب مُصغياً إليه؛ فيوقظ مشاعره، وينبه أحاسيسه وأحزانه ولوعته في جو حزين مؤلم؛ فتتقد عاطفته، وتتفجّر مشاعره عند تذكّره سكرة الموت التي لا تُغادر تفكيره.

التحسر والتوجع[2]:

" ويُفيد التحسُّر على موت عزيز غالباً ما يكون في رثاء الميت"[3]، وقد ورد التحسر (15) مرة، أي بنسبة (3.23%) من نداء الشاعر، فهو يتحسّر على ما فاته مُتمنياً عودة الأيام الماضية؛ ليغتنمها بعمل الخير والفضيلة؛ فالتحسر يُوحي بالتأسُّف الذي يُعبّر عن الغمّ والندم على ما مضى؛ بسبب مخالفة القدر له في بعض الأحيان، فيقف الإنسان عاجزاً عن المواجهة مُتحسّراً على ما فات، ويعيش أبو العتاهية أعمق معاني التحسر عندما ينعي شبابه الراحل من دون عودة:

فيا أسفاً أسِفتُ على شبابٍ، نعاهُ الشَّيبُ والرأسُ القضيبُ

---

[1] ديوان أبي العتاهية، ص302.

[2] دروس البلاغة، تأليف: حفني ناصيف، سلطان محمد/ محمد دياب، مصطفى طموم، عني به أحمد السنوسي أحمد، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 2012م، ص40.

[3] المُعجم المُفصّل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، إنعام فوّال عكاوي، مراجعة أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، 1996م، ص557.

فيا ليتَ الشبابَ يعودُ يوماً، فأخبرَهُ بما فعل المشيبُ[1]

يبدأ الشاعر كلامه بالتحسر على أيام شبابه (فيا أسفا)؛ فيبكيها بمرارة وأسى، فقد غزا الشيب رأسه وأصبح ضعيفاً منهاراً؛ لأنّه أحسّ بدنو أجله واقتراب الموت؛ فالشباب رمز القوة والنشاط، أما الشيب فهو رمز تقدم العمر والضعف واليأس والوهن؛ فهو يُشكّل انهزاماً نفسياً يستدعي الخوف والقلق؛ فيصبح كثيباً حزيناً، لا يقوى على فعل شيء سوى الاستسلام للزمن.

يتأسّف على أيام شبابه، ثم يتمنى (فيا ليت) عودة هذا الشباب؛ ليخبره بما فعل المشيب في مرحلة الشيخوخة، بعد أن تلاشت قواه؛ فأصبح يعيش عمق المعاناة الروحية الممزوجة بالتشاؤم والحزن؛ فنُلاحظ في هذا التمني هروباً من واقعه الممزوج بالألم ، والشعور بالتلاشي في هذا الواقع المأساوي، والانفصال عنه من خلال التمني؛ لأنّه يُعاني ألم التشتت والضياع؛ فيجمع بين آماله وبين أشواق الروح وتطلعاتها لعودة الشباب الراحل الذي لن يعود؛ فيُصوّر نفسه المُضطربة التي تكويها المشاعر المُحمّلة بالقلق والحيرة والخوف من صدمة الواقع الذي ينفر منه، ولا يستطيع تقبّله.

ثمّ يكرّر الشاعر تحسره متأسفاً على ما فات بعد أن اعتراه اليأس وانقطاع الأمل مما يرجوه؛ فيقول متوجّعاً:

أيا ويحَ قلبي من نجيّ البلابلِ؛ ويا ويحَ ساقي من قروحِ السلاسلِ

ويا ويحَ نفسي، ويحها، ثم ويحها، ألم تنجُ يوماً من شباكِ الحبائلِ

ويا ويحَ عيني قد أضرّ بها البكا، فلم يُغنِ عنها طبّ ما في المكاحِلِ[2]

رسم أبو العتاهية صورة شعرية مؤلمة تُثير في نفوسنا بواعث الألم العميق الذي يُعاني مرارته عندما اكتسح الحزن حياته؛ فاكتوى بنار المصيبة؛ فيُكرّر مناداته الموجعة (أيا ويح قلبي، و يا ويح نفسي، و يا ويح عيني)، فاختار القلب لأنّه مركز العواطف والانفعالات، والعين مركز الرؤية، ونفسه هي ذاته التي لا تفارقه، لقد جعل الشاعر من أعضائه أشخاصاً تُشاركه آلامه وهمومه؛ ففي كل عضو من أعضائه ألمٌ يُحزِن قلبه المُتصدّع ويُفقده الصبر ويُوقد الجزع؛ فشخّص القلب والعين وأعطاهما خصائص الإنسان الذي يُشاركه مصابه وبلواه.

إنّه يُشعرنا وكأنّ قلبه مفصول عنه، وهذا ناتج عن معاناة سببها اليأس والحزن، وكذلك أيضاً مع نفسه التي فقد السيطرة عليها، ولم يستطع تخفيف قلقها وخوفها من الآخرة، ثم ينتقل إلى عينه التي ضرّها البكاء، ولم تستطع المكاحل معالجتها.

لقد نجح الشاعر في أنسنة أعضائه ليعبّر عن الاضطراب النفسي، والتوتر الشديد الذي يمثّل غصة في صميم القلب، تُعبّر عن حالات ضعف أبي العتاهية الذي انتابته دفقات شعورية اصطدمت بالحيرة والدهشة والهموم التي سببت له العذاب والألم.

كما استخدم روي (اللام) المكسورة التي توحي بالذاتية والتوجع؛ لتُصوّر أنين الشاعر، وآهاته، وذلك لانكساره شعورياً ونفسياً وفكرياً نتيجةً لانهياره؛ فقد شكّل شعره صدى وجدانه المكسور؛ فالشاعر يزداد انكساراً وحزناً حين يتذكر ما ألمّ به؛ فيهيج حزنه وتوجعه؛ فكانت لوحته الشعرية زفرة محرقة تردّد حرقة ألمه وحزنه، تعبّر عن ضعف ذلك الشاعر الملتاع واضطرابه؛ ذلك الشاعر الذي اتقدت عاطفته، وتفجرت مشاعره المرهفة، نتيجة الوضع المأساوي الذي يعيشه.

الإغراء[3]**:**

---

[1] ديوان أبي العتاهية، ص46.

[2] ديوان أبي العتاهية، ص384.

[3] جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، 1999م، ص90.

"هو الحث على التزام الشيء والزيادة فيه"[1]، وقد ورد الإغراء (13) مرة، أي بنسبة (2.80%) وذلك للترغيب بالتزام الأخلاق الحسنة، والعمل لكسب الجزاء يوم الحساب؛ فهذا أبو العتاهية يُجرِّد من نفسه شخصاً آخر يُخاطبه، ويقنعه بالابتعاد عن زخارف الدنيا والتهيّؤ للآخرة:

يا نفسُ! لا تتعرضي لعطيةٍ، إلا عطيّةِ ربّكِ الوهابِ

يا نفسُ! هلّا تعلمين؛ فإننا في دار معتملٍ لدارِ ثوابِ[2]

يبدأ الشاعر كلامه بأسلوب نداء (يا نفس)؛ فيزجرها عن التورط بمظاهر الحياة الدنيا (لا تتعرضي)، داعياً إياها إلى الإقبال على الله؛ فيدعوها إلى الجد، مُكرِّراً نداءه، فيُغريها بثواب الآخرة؛ لأنّ الدنيا دار فناء لا دار بقاء.

يستخدم الشاعر أسلوب اللين والرفق في أثناء نهيه نفسه عن الغفلة والانشغال باللذات، مُستعيناً بأسلوب إغراء وتحذير؛ فينبّه نفسه على عدم فعل أمر مكروه وتجنّبه، عن طريق الوعظ والتزهيد في الدنيا، والترغيب بثواب اليوم الآخر.

ويلجأ الشاعر إلى إغراء الإنسان عامة (يا ابن آدم) مُخاطباً الناس جميعهم؛ فيذكرهم أنّ الله سبحانه وتعالى ملجأ كل إنسان ضعيف مظلوم:

وسألتَ ربّكَ، يا ابن آدمَ، رغبةً، فوجدتَ ربّكَ، إذا سألتَ، كريما

ودعوتَ ربّكَ يا ابن آدمَ رهبةً، فوجدتَ ربّك، إذا دعوت، رحيما[3]

يبدأ الشاعر كلامه بفعل ماض يؤكد به حدوث فعل السؤال والإجابة (وسألت، فوجدت)، فالله سبحانه وتعالى يُجيب السؤال، ويُلبّي حاجاتنا في صورة سامية تُدخل الراحة إلى قلوبنا؛ فتمحو ما تركته الدنيا من قلق وإحباط وخيبة عند معرفتنا مدى قدرة الله وكرمه، وهذا ما يجعلنا نشعر بانتقالنا من واقع الحزن والشر والأسى إلى عالم الأمن والأمان، ثم ينتقل في البيت الثاني إلى الفعل (دعوت)، والدعاء يكون من الأدنى إلى الأعلى، حاملاً معه التضرع والاستعطاف وطلب الحاجة، وهو دعاء نابع من صميم قلبه، وهذا دليل قطعي على وجود الإيمان في قلب الشاعر، وقد كرّر الفعل (وجدت) مؤكّداً استجابة الله لدعاء عباده ورحمته بهم، وهذا يجعل رأيه أكثر بروزاً ورسوخاً في أذهاننا؛ لما له من أثر جمالي ونفسي في قلوبنا.

الندبة:

"ضربٌ من النداء يُقصد به التفجُّع على مفقودٍ حقيقةً، أو منزَّلٍ منزلة المفقود، أو الحسرةُ على المتوجَّع له، أو إظهار الألم من المتوجَّع منه"[4]، أمّا المندوب فهو: "المتفجع عليه بياء أو (واو)"[5]، وتمتزج الندبة بالتوجع والألم؛ "لأنّها نداء موجّه للمتفجّع

[1] المفصل في علوم البلاغة المعاني، البيان، البديع، عيسى علي العاكوب، منشورات جامعة حلب، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1421ه-2000م، ص288.
[2] ديوان أبي العتاهية، ص54.
[3] ديوان أبي العتاهية، ص390.
[4] الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبدالسلام محمد هارون، ص146.
[5] التعريفات، تعريفات ومصطلحات لغوية وفقهية وفلسفية جمعت من أمهات الكتب الفلسفية والفقهية واللغوية، علي بن محمد بن الشريف الجرجاني (816ه)، مكتبة لبنان، بيروت، 1917م، ص250.

عليه أو المتوجع منه"[1]؛ فقد وردت الندبة (12) مرة، أي بنسبة (2.59%) من أساليب النداء عند الشاعر، وذلك بسبب حزنه ولوعته وفقده عزيزاً ترك أثراً في نفسه.

ويظهر هذا الأسلوب عند الإنسان حين يتوجع من أمر لا يستطيع تحمّله؛ فيعجز عن المواجهة لاجِئاً إلى الندبة؛ فهذا الشاعر أبو العتاهية يتوجع بحرقة ومرارة؛ فيُطلق صرخة مدوّية تهزّ كيان السامع، وتجعله يشاركه ألمه:

أيا كبداً عادث، عشيّةَ غُرّبِ، من الشوقِ إثر الظّاعنينَ تُصدّعُ[2]

يبدأ أبو العتاهية وصف معاناته بأسلوب الندبة (أيا كبداً)؛ ليُخرِج آهاته من أعماق الذات الشاعرة؛ فيُعبّر عن عذابه وألمه إثر الشوق الذي ألمّ به؛ لأنّ الشوق الذي يُؤرّقه يُحدِث لسعة موجِعة أشعلت حالة شعورية مُتأججة، صوّرت شدّة لوعته وتحسّره على ما أصابه.

لقد خرج نداؤه من ذات ممزقة تتساقط بفعل سيطرة الحزن عليه نتيجة ترسبات وجدانية تراكمت داخله؛ فاستخدم أسلوب الندبة؛ لدوره في استيعاب الأحاسيس والمشاعر الكامنة داخله، ومساعدته على التخلص منها نحو الخارج، فالكبد هو موطن بلاء الشاعر؛ لأنّه مُصاب بجرح عميق لا يلتئم مدى الحياة، وأصبحت أعضاؤه تُشاركه أحزانه نتيجة الخضوع لهذا البلاء المُلازم له.

"وتُستعمل (وا) للندبة، وهي التي يُنادى بها المندوب المُتفجَّع عليه"[3]، ويستخدم أبو العتاهية هذه الأداة في قوله:

وا بلائي من دعاوي آملٍ، كلّما قلت تدانَى بعُدا[4]

يُعبّر الشاعر عن مرحلة الضياع التي يعيش فيها، من خلال استخدامه أسلوب الندبة (وا) ليُظهِر شدة ضعفه بسبب البلاء الذي ألمّ به؛ فهو مغلوب على أمره؛ لأنّه يعيش حالة اليأس والاستسلام؛ فقد كان نداؤه عاطفياً شديد التوتر، نابعاً عن غصّة ذاتية، تلك الغصّة التي منعته من شرح أسباب الفجيعة التي ألمّت به؛ فيُخرِج ما يدور في ذهنه من آثار القرب والبعد في نفسه المثقلة بالهموم والمصائب، وكأننا نسمع صوته المُتهدِّج المذبوح المملوء بالجيشان والأسى (وا بلائي) من خلال صرخة ملتهبة بهذا الصوت المنبّه الذي يجعلها أكثر حدّةً، وأشدّ ألماً.

نتائج البحث:

1–جاءت نداءات أبي العتاهية فطرية لا إرادية؛ لأنّها نابعة عن ذات صادقة تسعى إلى تحريك الضمير وإثارة الوجدان، وهذا ما جعله يُهاتف الآخر بهدف التنبيه والإقناع.

2–طغى على نداءاته طابع الوعظ والزهد والحكمة؛ فكان نداؤه معبراً عن تمثّل صادق لمجريات حياته، وحوادث عصره، وفكر مجتمعه.

3–احتلّ التنبيه المكانة الأولى من الأغراض المجازية للنداء، وهذا دليل على حاجته المُلحّة إلى إثارة انتباه المُنادَى؛ ليشعر بخطورة الموقف أمام القلق الذي يعيشه المنادِي على الصعيد النفسي والاجتماعي.

4–أخذ التذكير المرتبة الثانية من معاني النداء لدى أبي العتاهية بقصد إيقاظ النفس الإنسانية الغافلة الساهية النائمة، وتوبيخها بمعاني الاستنكار والاستبعاد آملاً أن يُثير شعور المُخاطَب وتفكيره مع إطالة التأمل في هذه الحياة.

---

[1] التطبيق النحوي، عبده الراجحي، ص289.
[2] ديوان أبي العتاهية، إسماعيل بن القاسم بن السويد بن كيسان، ص269.
[3] البلاغة العربية، عبدالرحمن الميداني، 240/1.
[4] ديوان أبي العتاهية، 157.

5–ظهر التحبب في المكانة الثالثة لدى الشاعر، وذلك بسبب حرص أبي العتاهية على مصلحة المُنادَى، وخوفه عليه، مُستخدماً معه أسلوب الرفق والحكمة في نظرته إلى الحياة.

6–حمل النداء معاني تحقير محبي الحياة الدنيا التي وصفها بالغدر والتقلب، فضلاً عن تعجبه من تمسكهم بزخارف الدنيا، زاجراً إياهم عن اتباع الأهواء، وإعراضهم عن التهيؤ للآخرة.

7–ظهر أبو العتاهية مُستغيثاً بربه الكريم؛ فرسم صورة الإنسان في أسمى مناجاة وجدانية صادقة نابعة من هيجان مشاعره وعواطفه لدى تعظيمه مشهد الموت ويوم الحساب.

8–تحسّر أبو العتاهية عمّا فات بأسلوب فني موجع ضمن شعر زهدي، وكآبة مؤلمة، مُستعيناً بالترغيب للإقبال على الله والعمل للآخرة؛ فنراه ناصحاً واعظاً راشداً داعياً إلى طاعة الله وتقواه، أملاً في كسب الثواب في الدار الآخرة.

9–تنوعت المعاني المجازية للنداء ضمن أغراض بلاغية تعبّر عن مواقف الشاعر وآرائه تجاه الكون، ولكنها تدور حول موضوع واحد، وهو الوعظ والحكمة التي أراد الشاعر إيصالها إلى السامع عن طريق أساليب النداء المُختلفة.

قائمة المصادر والمراجع:

–أساليب بلاغية الفصاحة– البلاغة المعاني، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى، 1980م.

–الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة، 2001م.

–البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها وصور من تطبيقاتها، بهيكل جديد من طريف وتليد، عبدالرحمن حسن حبنكه الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1996م.

–البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني، بكري شيخ أمين، توزيع دار العلم للملايين، بيروت، 1979م.

–التعريفات، تعريفات ومصطلحات لغوية وفقهية وفلسفية، جمعت من أمهات الكتب الفلسفية والفقهية واللغوية، علي بن محمد بن الشريف الجرجاني (816هـ)، مكتبة لبنان، بيروت، 1917م.

–تهذيب السعد ترتيب لكتاب (مختصر المعاني) لسعد التفتازاني، محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة حجازي، مصر، الطبعة الثالثة، 1950م.

–جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: د.يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، 1999م.

– دروس البلاغة، تأليف: حفني ناصف، سلطان محمد/ محمد دياب، مصطفى طموم، عني به أحمد السنوسي أحمد، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 2012م.

–دروس البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، الأزهر الزنّاد، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، 1992م.

–ديوان أبي العتاهية، إسماعيل بن القاسم بن السويد بن كيسان، كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، 1986م.

–الشعر والشعراء، أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (276هـ)، تحقيق وشرح، أحمد محمد شاكر، دار المعارف.

–الطراز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، 2003م.

–علم المعاني، درويش الجندي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، جامعة القاهرة.

–علم المعاني، دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، بسيوني عبدالفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الرابعة، 2015م.

–لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (711هـ)، دار صادر بيروت.

–المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، إنعام فوّال عكاوي، مراجعة: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة الثانية، 1996م.

–معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه– كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، 1984م.

–المُفصّل في علوم البلاغة المعاني، البيان، البديع، عيسى علي العاكوب، منشورات جامعة حلب، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1421هـ– 2000م.

–المقرب، ابن عصفور الحضرمي الإشبيلي (669هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود– علي محمد معوض، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م.

–الواضح في النحو، محمد خير الحلواني، دار المأمون للتراث، بيروت، الطبعة السادسة، 2000م.